عنوان المحاضرة :الجزائر و الحرب العالمية الثانية 1939- 1945

عندما بدأت ملامح الحرب العالمية الثانية حاولت فرنسا فرض الهدوء في الجزائر لإنشغالها بالحرب ضد ألمانيا فلجأت إلى تضييق الخناق على الحركة الوطنية ،فأوقفت صحفها عن الصدور خاصة ما تعلق بالإتجاه الإستقلالي والتي تشكل تهديدا ضد الوجود الفرنسي وعليه فقد لجأت إلى إضطهاد الأحزاب السياسية ومتابعة قادتها .

1- موقف الجزائريين :

نظرا لمعرفة فرنسا بعقلية الجزائريين و توقعها رفض المشاركة إلى جانبها في الحرب فقد لجأت إلى السياسة التقليدية بالإعتماد على رجال الإفتاء والأئمة ورجال الطرقية لكي يؤثروا في الجماهير الشعبية وحثهم على التجنيد والتطوع في سبيل الله وفرنسا و على الجهاد باعتبار فرنسا حامية الإسلام ، مكا اعتمدت على منابر المساجد للدعاية إلى جانبها وتشويه صورة الألمان ،غير أن شعور الجماهير الشعبية كان معاديا للمشاركة لكنهم جندوا بالقوة و الإغراء، وقد وصل عدد المجندين إلى 134000 جندي تم إرسالهم إلى جبهات القتال في اروبا كما ان 70 الفا أخذوا للعمل في المناجم ومختلف الخدمات لتعويض المجندين الفرنسيين من فرنسا الذين تركوا وظائفهم للذهاب إلى ساحات القتال و ذلك بعد التعبئة العامة التي أعلنتها فرنسا منذسبتمبر 1940 واكتساح الاراضي الفرنسية ،لتقوم بعملية نقل المجندين الجزائريين إلى الجبهة الاروبية لأنها لا تثق في بقائهم بالجزائر ،وبالنسبة للمعمريين في الجزائر فقد وقفوا ألى جانب حكومة فيشي و الألمان وكان هدفهم الإحتفاظ بالجزائر تحت سلطتهم .

2- موقف الإتجاهات الوطنية الجزائرية :

تباينت ردود أفعال الإتجاهات الوطنية بين مؤيد ومعارض :

موقف الإدماجيين :

اعلن أعضاء هذا الإتجاه دعمهم الكامل لفرنسا ووقوفهم إلى جانبها تأييدا لها وتطوع المثقفون وأصحاب الشهادات في الجيش الفرنسي كحال فرحات عباس يمكن تفسير هذه المشاركة طمعا في الحصول على تنازلات سياسية تتماشى ومطالب حزبهم وخير دليل على هذا مذكرة فرحات عباس الى بيتان 1941 .

موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

أمام طلب فرنسا من الجمعية ارسال برقية تاييد إلى جانبها في حربها ،فقد أدى هذا إلى صراع داخل الجمعية إنتهى برفض ابن باديس إرسالها لأنها بمثابة ولاء لفرنسا مرددا مقولته المشهورة والله لو طلبت مني فرنسا أن أقول لا إله إلا الله محمد رسول الله لما قلتها ، وأمام هذا الموقف المتصلب لجأت فرنساإلى نفي بعض أعضائها وفرضت الإقامة الجبرية على ابن باديس بقسنطينة حتى، وفاته كما صادرت صحف الجمعية .

موقف حزب الشعب الجزائري :

باعتباره حزبا ثوريا ذو مبدأ ثابت فإن موقفه من المشاركة في الحرب مان سلبيا ورفض المشاركة وعارض التعاون مع فرنسا ، علما أن فرنسا كانت تنتظر الفرصة لحل الحزب ، وقد وجدت الفرصة باندلاع الحرب فاصدرت في 26 سبتمبر1939 مرسوما يقضي بحل حزب الشعب وقد حكم علبهم في مارس 1940 ب123 سنة أشغال شاقة و 114سنة سجن و560سنة من النفي .

موقف الحزب الشيوعي الجزائري :

أعلن الحزب تأييده لفرنسا بمجرد إعلان الحرب و نداء فرنسا لمساندتها ، غير أن تولي الماريشال بيتان تسيير أمور فرنسا قد أدى إلى حل الحزب بتهمة مساندة الشيوعية الداعمة للنازيين فزجت بمناضليه في السجون .

وبالتالي يبقى الإتجاه الإدماجي حرا ، وهو ماسيسهلعلى فرحات عباس النضال و السير نحو تحرير بيان الشعب الجزائري ثم حركة أحباب البيان والحرية قبل قمعه بالتخطيط لأحداث 8ماي 1945.

3-بيان الشعب الجزائري : بيان فيفري 1943 .

و أمام مستجدات الحرب أخذ فرحات عباس البادرة لصياغة مذكرة مطالب مستغلا ظروف فرنسا بعد احتلال الالمان لها باعتباره الحزب الوحيد المتحرر،وقد بدأ في هذه المرحلة يصعد لهجته التي تظهر في التقرير الذي قدمه في 10 أفريل 1941 للماريشال بيتان عن طريق عامل عمالة قسنطينة " ماكس بونافوس"، و المعنون" بجزائر الغد" وقد قدمه فرحات عبّاس مستعرضا فيه مشاكل الجزائر الأخلاقية و الاجتماعية و الإدارية و حتى الفلاحية ،وفي هذه الأثناء حلت بالبلاد عدة نكبات من مجاعة و أمراض وقد كان التقرير نقدا لاذعا للأوضاع التي تعيشها الجزائر و تقدم بقائمة إصلاحات تضمنت:

-إنشاء بنك للفلاحين تشرف عليه لجان زراعية مهمتها مساعدة الفلاح الجزائري .

- تأميم الشركات الكبيرة وتوزيع الأراضي التابعة لها على الفلاحين .

- تطوير الترقية ونشرها لأن بدونها لايمكن تحقيق إصلاحات جدية .

- إصلاح نظام البلديات و إلغاء الحكم العسكري في الجنوب .

- المساواة في الخدمة العسكرية.

- المساواة في معاملة الموظفين الجزائريين.

- خلق وسائل العمل للعمال الجزائريين .

- زيادة عدد الولايات (تقتصر فقط على ثلاث ولايات) و إلغاء الحكومة العامة في الجزائر.

لكن رد بيتان حسب سعد الله كان غامضا ولم يعد صراحة بإدخال الإصلاحات المذكورة.

كان لنزول الحلفاء في شمال إفريقيا في 8 نوفمبر 1942مرحلة جديدة فتحت باب الأمل للحركة الوطنية الجزائرية خاصة مع الشعارات التي حملها ميثاق الأطلسي و المتعلقة بحق الشعوب في تقرير مصيرها ،ومثّل هذه الدعاية كل من روزفلت وممثله مورفي، ويذكر

أبو القاسم سعد الله بأن قادة الحركة الوطنية الجزائرية اتصلوا بالسيد مورفي ويقصد فرحات عباس ،وكان هذا قبل نزول الحلفاء في 07 نوفمبر 1943 واعتبر مورفي فرحات عباس وطني عربي جزائري متحمس معتدل ومتعقل، وكان موضوع اللقاء حول رأي الحكومة الأمريكية في لإقامة حكم ذاتي في الجزائر لكن مورفي كان ذكيا في رده بحيث تذرع بظروف الحرب وسعي بلاده للسلام العالمي بدحر النازية وفي نفس الوقت تتعاطف مع رغبات الشعوب في الاستقرار ،

لقد استنتج النواب المسلمون بأن حل المشكل الجزائري لا يكون إلا في إطار الأمة الجزائرية و بذلك اجتمع العديد من أعضاء الحركة الوطنية ، ويذكر فرحات عباس أن هذا الاجتماع في مكتب الأستاذ بومنجل في الجزائر العاصمة و حضره كل من الدكتور تامزالي القبائلي وغرسي أحمد وقاضي عبد القادر،و الأمين دباغين وحسين عسلة عضوي حزب الشعب الجزائري و الشيخ التبسي و الشيخ خير الدين و أحمد توفيق المدني من العلماء ،وبن جلول و فرحات عباس ومحمد الهادي رئيس جمعية الطلبة و الدكتور سعدان مستشار عام

و ناقش المجتمعون الأوضاع التي تمر بها الجزائر خاصة و انها أصبحت طرفا في الصراع واتفقوا على وضع خطوط مبدئية تتضمن مطالب الشعب الجزائري و صياغتها في بيان جديد وكلّف فرحات عباس بتحريره.

وفعلا عاد إلى سطيف وقام بصياغته تحت تسمية "بيان الشعب الجزائري 1943 وقد وقع عليه 22 عضوا و أرخ في نهاية 10 فيفري 1943 ،وقد تضمن خمسة فصول:

الفصل الاول : "وهو الإفتتاحية:وضع الجزائر منذ إحتلالها".

الفصل الثاني :" أهمية الحرب العالميتين في تحرير الشعوب ".

الفصل الثالث : " استعراض العلاقة الفرنسية الجزائرية منذ 1830 وعن الاستعمار و الاستغلال والتفرقة العنصرية".

الفصل الرابع :" فشل الإصلاحات السابقة و اندلاع الحرب العالمية الثانية و أهمية نزول الحلفاء بالجزائر ".

الفصل الخامس : "تضمن مطالب الجزائريين الأساسية" .

وبعد التذكير التاريخي المفصل للوضع السائد في الجزائر منذ 1830 ، طلب البيان باسم الشعب الجزائري مايلي:

_ إدانة وإزالة الاستعمار : أي إلحاق واستغلال شعب من قبل شعب آخر فهذا الاستعمار ليس إلاّ شكلا جماعيا من الإستعباد الفردي من القرون الوسطى و هو بالإضافة إلى ذلك أحد الأسباب الرئيسية للمنافسة والمزاحمة بين القوى العظمى.

_ تطبيق حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها على الدول الكبيرة و الصغيرة .

_ تزويد الجزائر بدستور خاص بها يتضمن :

- الحرية والمساواة المطلقة لكل سكانه دون تمييز في الدين والعرق .

-إلغاء الملكية الإقطاعية عبر إصلاح زراعي و بحق الرفاهية للطبقة العريضة من العمال الزراعيين .
-الاعتراف باللغة العربية كلغة على مستوى اللغة الفرنسية نفسه ,
-حرية الصحافة وحق الاجتماع .
-التعليم الإلزامي و المجاني لكل الأطفال من الجنسين .
-حرية العبادة لكل السكان و تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على كل الاديان.
_ المشاركة المباشرة و الفعالة للمسلمين الجزائريين في حكومة بلدهم .
_ تحرير كل المحكومين و المعتقلين السياسيين إلى أي حزب انتموا.

وبعد أن أنهى فرحات عباس صياغته إنتقل عبر كامل التراب الوطني ،لعرضه على كل الإتجاهات السياسية قبل تقديمه إلى الإدارة الاستعمارية و قد وافقت عليه كل الشخصيات السياسية وتم تقديم البيان للحاكم العام مارسال بيروتون في 31 مارس 1943 ،وسلمت نسخ أخرى إلى ممثلي الولايات المتحدة و إنجلترا و فرنسا و نسخه لجنرال ديغول في لندن و نسخه إلى الحكومة المصرية في القاهرة وقد تظاهر بيروتون مبدئيا بقبول هذه المطالب وطلب بتوضيحها في ملحق

وقد قدم الملحق في 26 ماي 1943 وقدّمت نسخة منه إلى شارل ديغول في 10 جويلية وقد ذكر الملحق بعض النقاط الواردة في البيان ،كالمطالبة بقيام أمة جزائرية وتكوين دولة جزائرية قائمة على مبادئ الديمقراطية و الحرية وقد تضمن الملحق قسمين :

القسم الأول:

تضمن إصلاحات آجلة إلى ما بعد الحرب و بموجبها تصبح الجزائر دولة لها دستورها الخاص يصيغه مجلس تأسيس منتخب عن طريق الاقتراع العام من جميع سكان الجزائر .

أما القسم الثاني: وهو عبارة عن اصلاحات عاجلة تتضمن 3 أجزاء:

أ - الاشتراك الفوري و الفعال للممثلين الجزائريين في إدارة وحكومة الجزائر عن طريق
-تحويل الحكومة العامة المتمثلة في فرنسا إلى حكومة جزائرية و يمثل من وزراء بعدد متساوي بين الفرنسيين و الجزائريين.
- التمثيل المتساوي بين الجزائري و الفرنسي في جميع المجالس و التنظيمات الاستثنائية (*).
-تحقيق الإدارة الذاتية للدولة و البلديات المختلطة .
-دخول الجزائريين في كل الوظائف العمومية على أساس المساواة مع الفرنسيين .
-إلغاء جميع القوانين الإستثنائية و تطبيق القانون العام على الجزائر

ب/ المساواة أمام ضريبة الدم وذلك ب:

-إلغاء التجنيد الإجباري والخدمة العسكرية الأهلية .
-توحيد نظام التجنيد و المكافأة في الخدمة العسكرية (توظيف، رتب ،أجر ...)
- توحيد العلم الجزائري في الفرق الجزائرية العامة رفعا لمعنوياتهم .

ج/ الإصلاحات الاقتصادية و الاجتماعية ومنها:
-انشاء مصلحة للفلاحة الجزائرية لمساعدة الفلاحين و إنشاء وزارة عمل لتطبيق القوانين الإجتماعية للعمال الجزائريين.

-انهاء التعليم الأهلي ومنح الحرية في تعليم اللغة العربية و الترخيص بانشاء صحف في الولايات باللغتين و توفير السكن بالإضافة إلى حرية الدين الإسلامي ، وقد كتب بدون توقيع لأنّه تتمة للبيان السابق ، إنّ مطالب ملحق البيان تنم عن حقيقة واضحة وهي نهاية الأوهام و يشير إلى ميل استقلالي يعتمد على الدستور

وفي هذه الأثناء تسلم ديغول السلطة وعين الجنرال كاترو(Catroux)حاكما عاما على الجزائر و الذي رفض بدوره المطالب الجزائرية وأكّد عدم موافقة فرنسا على استقلال الجزائر ،كما أغضب الوطنيين الذين رفض مندوبهم في شهر سبتمبر الاشتراك في الدورة الطارئة للّجان المالية مظهرين تمسكهم بالبيان.

وكان رد فعل كاترو رفض البيان و ملحقه حيث كان من أنصار بقاء الجزائر فرنسية و رأى بأن المطالبة بجمهورية جزائرية ماهي إلا نتيجة لعاصفة من التحرر، و قال بأنّه من الحكمة وقف هذه العاصفة و اكتفى بانشاء منصب نائب شيخ البلدية المسلم و أعاد العمل بقانون كريميو، كما حل كل الهيئات التي ينشط فيها الجزائريون ،وحل مجلس الوفود المالية الأهلية وفرض الإقامة الجبرية على فرحات عباس وعبد القادر السايح ونقلهما لتبلبالة في جنوب وهران بتهمة العصيان المدني و اثارة الشغب اثناء الحرب، هذا وقد رفض كاترو العدول عن قراره إلاّ بعد أن ذهب إليه ممثلوا بعض فئات الشعب و اعتذروا له عن الأحداث الجارية معلنين رغبتهم لتطوير الجزائر في نطاق النظم الفرنسية و كان مفهوما أن هؤلاء لا يمثلون إتجاه الرأي العام .

و أمام الرفض الشعبي الذي عمّ الجزائر بعد رفض كاترو البيان قام هذا الأخير باعادة القسم الأهلي في الوفود المالية ووعد بتطبيق إصلاحات تم تقديمها عند وصول دوغول للجزائر و الذي قدمه في شكل خطاب ألقاه في قسنطينة بتاريخ 12 ديسمبر 1943 ،وقد جاء فيه منح الجنسية الفرنسية للجزائريين دون إلزامهم بالتخلي عن أحوالهم الشخصية الإسلامية وزيادة تمثيلهم في المجالس المحلية والاحتفاظ ببعض المناصب الإدارية لعدد من الجزائريين الأكفاء ، غير أنه اعتبر متأخرا عن وقته وكان مرفوضا من قبل الوطنيين ولم يؤيده سوى عدد قليل من ممثلي اللّجان المالية الذين تخلوا عن البيان تحت الضغط الفرنسي· .

بعض المراجع:

*ابو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ج2 .ج3
*أحمد توفيق المدني : **حياة كفاح (مذكرات)** ،(مع ركب الثورة التحريرية) ج3 ،ش و ن إ ،الجزائر 1982.
*لهلالي إسعد:مقالات وآراء في تاريخ الجزائر 1830-1962، دار المجدد 2018 .
*لهلالي إسعد:محاضرات في تاريخ الجزائر من الاحتلال إلى الاستقلال (1830-1962)، دار المجدد 2018.
*لهلالي إسعد: دور القوات الفرنسية في مجازر 8 ماي 1945 " دراسة تحليلية من خلال الوثائق العسكرية الفرنسية والشهادات والكتابات الجزائرية.دار المجدد 2018

Charles Robert Ageron : l'Algérie algérienne de Napoléon 3 à de Gaulle la bibliothéque arabe ,editions sindbard ,Paris 1980.